

الإصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين

وهذا هو الجواب عن جميع ما استشهدوا به من الآيات إلا قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) فإن الجواب عنه من وجهين .
أحدهما أن يكون الاستثناء وقع على دخولهم آمنين والتقدير فيه لتدخلن المسجد الحرام آمنين إن شاء الله .
والوجه الثاني أن يكون ذلك على طريق التأديب للعباد ليتأدبوا بذلك كما قال تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) .
وهذا هو الجواب عن قوله صلوات الله عليه وإنا إن شاء الله بكم لاحقون لأنه لما أدبه الحق تعالى بقوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء) تمسك بالأدب وأحال على المشيئة فقال (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) .
وعلى هذا أيضا يحمل قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ويحتمل أيضا وجهين آخرين .
أحدهما أن يكونوا قالوا ذلك تركا لتزكية النفس لا للشك كما قال تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) وكما قيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء الرجل على نفسه .
والثاني أن يكون قولهم إن شاء الله شكاً في وصف الإيمان لا في أصل الإيمان والشك في وصف الإيمان لا يقدر في أصل الإيمان وأما قول الشاعر .
(إن كان سمعك غير ذي وقر ...) .
فلا حجة فيه لأن فيه حرف شرط لا بمعنى إذ واستغنى بما تقدم من قوله وسمعت عن جواب الشرط لدلالته عليه على ما بينا فيما تقدم والله أعلم